مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة العاشرة

معنى وَمُنْتَهَى الحلم وأصول الكرم

هذه الحلقة العاشرةُ من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، وهي أول حلقةٍ من حلقات شهر رمضان المبارك وبينت سلفاً بأن برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون إن شاء الله تعالى طيلة أيام شهر رمضان بين يومٍ ويوم، هذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه، وهذه الزيارة الجامعة الكبيرة، مر علينا في الحلقات الماضية: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم.**

كانت آخر حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج حيث وقفنا عند قوله صلوات الله وسلامه عليه: **وَخُزّانَ الْعِلم.** في هذا اليوم أتناول هذه الفقرة وربما أتناول غيرها أيضاً فإنني سأحاول أن أختصر المطالب بقدر ما أتمكن، لأجل أن نتمكن من أخذ أكبر قدرٍ من ألفاظ ومن عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَمُنْتَهَى الحلم،** هذا العنوان الذي أبدأ به كلامي، منتهى يعني الغاية، المكان الذي تكون عنده نهاية النهاية، نهاية النهاية هي المنتهى – **وَمُنْتَهَى الحلم** – الحلم بنحوٍ عام يأتي في معنيين، يأتي الحلم بمعنى العقل ويأتي الحلم بمعنى الحكمة، وكما يقال بأن الأمور أو بأن المعاني تستبان من أضدادها في كثيرٍ من الأحيان، فهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهل، وهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهالة، والذي يقابل الجهل هو العقل، والذي يقابل الجهالة هي الحكمة، ومن هنا قلت بأن الحلم إذا جاء مُضاداً للجهل فإنه العقل، وإذا جاء مُضاداً للجهالة فإن الحلم هو الحكمة، كذلك الجهل في بعض الأحيان يأتي مضاداً للعلم، وفي بعض الأحيان يأتي مضاداً للعقل، والجهلُ الذي يضادُ العلم غير الجهل الذي يضاد العقل، فالجهل الذي يضاد العلم هو المراد منه عدم العلم، أما الجهل الذي يضاد العقل فالمراد منه عدم العقل وفارقٌ بين المعنيين بين عدمية العلم وبين عدمية العقل، لا أريد الخوض كثيراً في كل هذه الجزئيات وفي كل هذه التفاصيل، ولكن كما قلت بشكلٍ مجمل الحلم يأتي بمعنى العقل والحلم يأتي بمعنى الحكمة، والحكمة هي الأخرى إنما هي في حقيقتها تجلٍّ من تجليات العقل، مرتبةٌ من مرتبات ومن مراتب العقل، إذاً الحلم بشكلٍ عام وبنحوٍ عام وبنحوٍ مجمل الحلم هو العقل، نحن هنا نسلم على الأئمة صلوات الله عليهم – **وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحِلم** – فهناك اقترانٌ

دائمٌ بين العلمِ والحِلم، لا ينفك العلم عن الحلم، ولا ينفك الحلم عن العلم، وهذه حقيقةٌ واضحةٌ من أعلى المراتب إلى أدناها، فعلى سبيل المثال ونحن الآن في أيام شهر رمضان نقرأُ في دعاء الافتتاح الدعاء الذي يستحبُ قراءته عند الإفطار من جملة العبائر الموجودة في هذا الدعاء الشريف قولُ الدعاء:

الحمد لله على حِلمهِ بعدَ عِلمه – والدعاءُ مرويٌ عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه – **الحمد لله مالك الملك مجري الفُلك مُسخِّر الرياح فالق الإصباح ديان الدين ربّ العالمين الحمد لله على حِلمهِ بعدَ عِلمه** – فهناك اقترانٌ بين الحلم وبين العلم، قد يتجلى الحلم قبل العلم، وقد يتجلى العلم قبل الحلم، ولكن هناك اقتران بين الحلم وبين العلم – **الحمد لله على حلمه بعد علمه** – هذا في الدعاء، هذا في المراتب العالية، وأما في المراتب الدانية نجدُ في أحاديثنا المعصومية الشريفة حين يتحدثُ أئمتنا عن العلم عن العلماء دائماً يقرنون بين صفة الحلم وبين صفة العلم، أخذ نماذج من كتاب الكافي الشريف لتوضيح هذه الصورة أو لتوضيح هذه الفكرة، في كتاب الكافي الشريف مثلاً في الجزء الأول وفي باب صفة العلماء، مثلاً الرواية الأولى، **عن معاوية بن وهب قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار** – هناك مقارنة مُلازمة، ذكرتُ مثالاً لأعلى المراتب كما جاء في دعاء الافتتاح الشريف – **الحمد لله على حلمه بعد علمه** – وهذا في المراتب الدانية، في مراتبنا نحن، الإمام يقول – **أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تُعلِّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم** – وكل هذه المعاني هي متفرعةٌ عن الحلم، لَمَّا يقول الإمام صلوات الله وسلامه عليه: تزينوا بالحلم والوقار، الوقار هو من مظاهر الحلم أيضاً – **وتواضعوا لمن تُعَلِّمونهُ العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم** – والتواضع بهذين الرتبتين هو من الحلم أيضاً – **ولا تكونوا عُلماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم** – وهذه أيضاً من مظاهر الحلم، العلم والحلم قرينان في كل مراتب الصفات في هذا الوجود.

حديثٌ آخر، **عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام** – أيضاً لا زالت الروايات من الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف – **عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن من علامات الفقه** – والفقه هنا ليس المراد منه الحديث في دائرة الفتوى في الأحكام التكليفية، هذا إنما هو جزءٌ من الفقه، المراد هنا من الفقه المعرفة العامة المعرفة الكاملة – **إن من علامات الفقه الحلمَ والصمت** – والصمتُ هو أيضاً مظهرٌ من مظاهر الحلم، إذا أردنا أن نبحث عن جذور الصمت من أين خرج الصمت، ومن أين أكتسب الإنسان هذه الصفة وهذه الخصلة؟ إذا بحثنا عن جذورها في أعماق النفس الإنسانية فإن الجذر الأساس لهذه الصفة ولكثيرٍ من الصفات هو الحلم.

روايةٌ أخرى، **عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه: لا يكون السَفهُ والغِرّةُ في قلب العالم** – والسَفهُ والغِرّةُ معانٍ مناقضة للحلم، السَفَه قلة العقل والغرةُ أيضاً، الغرةُ هي الأخرى قلة العقل، لذا أمير المؤمنين يقول: **لا يكون السفهُ والغرّةُ في قلب العالِم**.

روايةٌ أخرى، **عن إمامنا الصادق عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن للعالِم ثلاث علامات** – ما هي هذه العلامات؟ – **العلم والحلم والصمت** – والصمت كما قلتُ قبل قليل هو مظهرٌ آخر من مظاهر الحلم – **يا طالب العلم إن للعالِم ثلاث علامات: العلم، والحلم، والصمت، وللمتكلف** – المتكلف هو الذي يدّعي العلم – **وللمتكلف ثلاث علامات: يدافع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهرُ** – يظاهر يعني يعاون ينصر – **ويظاهرُ الظَلَمة** – وكل هذه الصفات هي في أصلها مناقضةٌ للحلم، ما هي علامات العالم؟ العلم والحلم، والصمت، لا يكون السَفَهُ والغِرّةُ في قلب العالِم، إذاً ماذا يكون؟!! سيكون هناك الحلم، هذه نماذج من نصوص ومن أحاديث وردت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تُحدِّثُنا عن الاقتران وعن التقارن بين صفة العلم والحلم في مراتب البشر العاديين، حينما نتصفُ بصفة العلم لا يكون هذا العلم قد أكتسب بعده الكمالي إلا بالاتصاف بصفة الحلم، والحلم هنا التؤدة، والتؤدة تعني الاتزان، الاتزان في أي شيء؟ الاتزان في التفكير، فليس من عجلةٍ في التفكير، حينما يفكر الإنسان في أمرٍ من الأمور لابد أن يكون متأكداً من صحة مقدماته، من صحة الأسس التي يبني عليها تفكيره، هذا هو المراد من التؤدة وهو الاتزان، الاتزان الفكري وكذلك الاتزان الأخلاقي، المراد من الاتزان الأخلاقي أن الإنسان لا يبادر إلى الغضب لأي قضيةٍ، وكذلك لا يستعجل في إصدار أحكامه، فهناك الكثير من الأمور في هذه الحياة الدنيوية ظاهرها شيء وباطنها شيء، الحليم هو الذي لا يستعجل في إصدار الأحكام فلا يحكم بالحُسن عاجلاً ولا يحكم بالقُبح عاجلاً، لربما يتراءى للإنسان الكثير من المعاني التي يمكن أن توصف بالقبح وهي ليست قبيحة في واقعها، وربما يتراءى للإنسان الكثير من المعاني التي يمكن أن توصف بالحسن وهي ليست حسنة في واقعها، لذلك لابد من الاتزان لابد من التؤدة، ولذلك الأمير عليه السلام ماذا قال؟

قال: لا يكون السَفَهُ والغِرّةُ في قلب العالم، والسَفَه والغِرَة هو عدم الاتزان، العجلة، إصدار الأحكام بسرعة، إصدار الأحكام على الأشخاص، إصدار الأحكام على الأفكار، إصدار الأحكام على أي مظهرٍ من مظاهر الحياة الإنسانية، وبالجملة فأني هنا لا أريد الحديث عن صفة الحلم التي لابد أن تكون مُقارنةً لصفة العلم عند العلماء من البشر العاديين، لكنني كما قلت قبل قليل الزيارة قرنت في تركيبتها اللفظية بين العلم وبين الحلم – **وخزان العلم، ومنتهى الحلم** – فقلتُ بأن الحلم قرينٌ للعلم في كل مراتب الصفات

الظاهرة في طبقات الوجود، من أعلى المراتب إلى أدونها، وبينتُ مثالاً من دعاء الافتتاح، وبينتُ مثالاً من النصوص التي تحدثت عن صفات أهل العلم، إذاً ما هي حقيقة الحلم؟! حقيقة الحلم كسائر الحقائق الأخرى في هذا الوجود، لكل حقيقة من الحقائق أصلٌ يتجلى في العوالم العلوية، ولهذه الحقيقة مظاهر، الحلم في أصله مرده إلى اسم الحليم وهو من أسمائهِ سبحانه وتعالى، إذا أردنا أن نبحث عن هذا المعنى في أصله فمردُ ذلك إلى اسم الحليم، فأين تجلى الحلم في أصله؟! تجلى الحلم في أصله في الكلمة الأولى، في النور الأول، في الماء الأعذب، في الماء الأطهر، في الماء الأبيض، هناك تجلى اسم الحليم في الحقيقة المُحَمَّدية التي هي مجْمَعُ مجالي الأسماء، ثم تجلت الحقيقة المُحَمَّدية فكانت مجاليها في كل عالم وفي كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، وما التعبير هنا في الزيارة ونحن نخاطب أئمتنا – **وَمُنْتَهَى الحلم** – أي أن الحلم بكل مظاهره في هذا الوجود إلى أين ينتهي؟

ينتهي هذا الحلم إلى أصله، والأصل هنا الحقيقةُ المُحَمَّدية ومن هنا هم منتهى العلم ومنتهى الحلم أيضاً، هم منتهى العلم ومنتهى الحلم، وهم منتهى كل كمالٍ من الكمالات، وهذا هو الذي نقرأه في دعاء السحر – **أجملُ الجمال** – يعني منتهى الجمال – **أجلُّ الجلال** – يعني منتهى الجلال – **أنفذُ العلم** – يعني منتهى العلم – **أكملُ الكمال** – يعني منتهى الكمال – **أتم الكلمات** – يعني منتهى الكلمات التامة، ولذلك التعبير هنا بمنتهى الحلم ليس خاصاً بهذه الصفة، يمكن أن أقول: ومنتهى الكرم، ومنتهى الطهارة، ومنتهى العصمة، لكن بحسب ما جاء من التركيب العبائري في الزيارة الشريفة وبحسب الحديث في هذه الزيارة عن المظاهر والتجليات جاءت العبارةُ هكذا – **وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحلم**.

الروايةُ في الكافي الشريف وهي تُحدِّثنا عن منتهى الحلم والحلم هو العقل، الروايةُ في الكافي الشريف في الجزء الأول من هذا الكتاب، **عن سماعة بن مهران قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعةٌ من مواليه** – يعني من أشياعه، من أتباعه – **فجرى ذكر العقل والجهل** – الجهل الذي هو في مقابل العقل – **فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا** – أعطانا هذه القاعدة – **أعرفوا العقل وجنده** – فهناك عقلٌ وهناك له جنود – **والجهل وجنده تهتدوا، قال سماعه: فقلتُ: جعلتُ فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره** – هذا مظهر العقل في عالم العرش، والعرشُ كما مر علينا هو من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية، عالم العرش هو عالم نوريٌ من العوالم العلوية الراقية من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية، وعالم العرش عالم محيطٌ بعالم الكرسي، وعالمُ الكرسي عالم محيطٌ بكل السماوات وبكل الأرضين، العرشُ هو الوعاء الأعظم، الروايةُ هنا تتحدث عن تجلٍ

للحقيقة المُحَمَّدية، وهذا التجلي هو في عالم العرش – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره** – يعني أن هذا الخلق خلق بعد أن وجد العرش، والعرشُ إنما وجد من نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ونورُ محَمَّدٍ كان ولم يكن هناك شيءٌ من عالم الخلق الثاني، كان الله ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمة فخلق نوراً وهو نورُ الحقيقة المُحَمَّدية، فكانت الحقيقة المحَمَّدية ولم يكن معها شيء من عالم الخلق الثاني، ثم شاء الله أن يشتق من نور هذه الحقيقة بكل مراتبها، لهذه الحقيقة مراتب وتجليات في الأنوار القادسة الأولى، من هذه الأنوار أشتق الخلق الثاني والعرش من المراتب العليا ومن أعلى المراتب في عالم الخلق الثاني، وبعد ذلك كانت التجليات فكان هذا التجلي الروحاني للعقل – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين** – والكلامُ هنا في الترتيب حينما أقول فخلق بعد ذلك ليس الحديث هنا عن بُعدٍ زماني، الزمان الذي نعرفه والذي نعيشه هو منتفٍ في تلكم الطبقات.

قد أقرب المثال بشيءٍ، نحن الآن في العالم الدنيوي حينما أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح، حينما أريد أن أفتح الباب حركتُ يدي فتحرك المفتاح، يدي هي العلةُ وهي السبب في تحريك المفتاح، والعلةُ والسببُ متقدمةٌ رتبةً على المعلول، يعني أن حركة يدي وأن يدي أعلى رتبةً من المفتاح ومن حركة المفتاح، الحديث هنا عن حركة المفتاح، فحركة يدي أعلى رتبةً من حركة المفتاح لأنها هي العلة، لكن إذا أخذناها باللحاظ الزماني فإن حركة يدي وحركة المفتاح كانتا في لحظةٍ واحدة، حركتُ يدي فتحرك المفتاح، في الواقع إن حركة يدي وحركة المفتاح في نفس اللحظة لكن حتى في الكلام أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح وهذه الفاء هي فاء الترتيب، يعني أن حركة يدي سابقة على حركة المفتاح، فهذا لسبق ليس سبقاً زمانياً وإنما سبقاً وجودياً، السبق الوجودي في المرتبة، لأن حركة يدي هي الحركة الفاعلة والمؤثرة، وأما حركة المفتاح فهي الحركة المنفعلة والمتأثرة، والأمثلة قد تُقرِّب من وجهٍ وقد تبعدُ من وجهٍ آخر.

فحين أقول بأن الحديث في تلكم العوالم هو منّزهٌ عن القيود الزمانية لأن هذا القيد الزماني هو قيدٌ من قيود عالم الطبيعة ومن قيود عالم الأفلاك ناتجٌ من حركتها، أما في تلكم العوالم فهناك تنزيهٌ وتطهيرٌ وتقديسٌ لتلكم العوالم من كل هذه القيود ومن كل هذه الإضافات – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل** – وأنا هنا الحقيقة لا أريد أن أقف عند هذا الحديث فأشرحه، فشرح هذا الحديث يحتاج إلى وقتٍ طويل لكنني أبين معناه بشكلٍ مجمل لأنني أوردته لإيضاح حقيقة معنى منتهى الحلم – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره** – هو هذا أيضاً مخلوقٌ من نوره، ونور الله هو نور الحقيقة المُحَمَّدية، كما قال صلى الله عليه وآله: ونوري أفضل وأشرف من نور العرش، لأي شيءٍ؟! لأن العرش من نور مُحَمَّد قال: وأما نوري وأما أنا فمن نور الله سبحانه وتعالى – **فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال**

له: أقبل فأقبل – هذه الروايات تأتي بلسان الرمز لا تأتي بلسان الحكاية التأريخية، هذا الحديث لا يتحدث عن واقعةٍ تأريخية عن ملكٍ قال لجنديٍ من جنوده أو لوزيرٍ من وزرائه أدبر فأدبر وأقبل فأقبل، حديث عميق جداً هذا – **فقال له: أدبر فأدبر** – وهي تجليات العقل في العوالم السفلية، إدبار العقل هنا، مظاهر العقل في العوالم السفلية، مظاهر العقل في العالم الأرضي وهذا من مظاهر الإدبار العقلي – **ثم قال له: أقبل فأقبل** – مظاهر العقل وظهورات العقل في العوالم العلوية، فهناك إدبارٌ وإقبال، إدبار العقل هو ظهوره في المراتب السفلية لهذا الوجود، وإقبال العقل هو ظهوره في المراتب العلوية، المراتب السفلية هي المراتب المنفعلة، المراتب العلوية هي المراتب الفاعلة، فالعقل هنا تجلى في المراتب الفاعلة وتجلى في المراتب المنفعلة – **فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي** – فمن هو هذا الخلق الذي كُرم على جميع الخلق، المعاني واضحة، هذا هو التجلي الذي ظهر من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية التجلي الأكمل، هذا التجلي الأكمل من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية الذي أشرق وشعَّ في كل العوالم – **خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج** – الأجاج يعني من البحر المالح، الأُجاج هو المالح – **ثم خلق الجهل من البحر الأُجاج ظُلمانياً** – نسبةً إلى الظلمة أو ظَلمانياً نسبةً إلى الظلام والمعنى واحد، الفرق فقط في اللفظ – **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج** – من البحر المالح يعني من البحر الذي لا يستساغ ماءه، فهناك بحرٌ يستساغ ماءه وهو الماء الأول، الماء الأعذب، الماء الأطهر، وهناك ماءٌ وهو الماء الأجاج البحر الأجاج – **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظُلمانياً فقال له: أدبر فأدبر ثم قال له: أقبل فلم يقبل** – العقل قال له أدبر فأدبر أقبل فأقبل، أما الجهل قال له أدبر فأدبر فهو يتناسبُ مع العالم الطبيعي، مع العالم السفلي – **ثم قال له: أقبل فلم يقبل** – وهذي رموز.

قلتُ قبل قليل بأن العوالم السفلية هي عوالم الانفعال، والعوالم العلوية هي العوالم الفاعلة، وهذا العنوان البحرُ الأجاج الذي هو أصلُ الجهل هذا العنوان إنما هو من آثار تجليات العقل بمراتب مختلفة، أقرب المعنى حينما يقول الفلاسفة بأن الشرور هي حدود عدمية، يمكن أن أقرب المعنى من خلال هذه الصورة التي يذكرها الفلاسفة، حين يقولون بأن الخير وبأن الخيرات حدودٌ وجودية، لكن الشرور حدودٌ عدمية، أقرب المعنى بهذه الصورة وإن كانت هذه المسألة معقدة وفيها شيء من التعقيد، لكن أقرب الكلام هكذا، حينما يكون مثلاً عند الإنسان من الصدق بنسبة عشرين بالمئة، وقلت هذه أمثلة تقرب من وجه وتبعد من وجهٍ آخر، حينما يكون عند الإنسان نسبة من الصدق مقدار من الصدق بنسبة عشرين بالمئة، بقيت هناك مساحة بنسبة ثمانين بالمئة، هذه المساحة ماذا سيظهرُ فيها؟ سيظهرُ فيها الكذب، لماذا؟ لأنه لا يوجد

الصدق، فحيثما لا يوجد الصدق آثارُ انعدام الصدق يتولد الكذب، لذلك يقولون بأن الكذب حدٌ عدمي، الكذب إنما منشأه من عدم الصدق، فحين لا صدق آثارُ انحسار الصدق ينشأ الكذب، آثارُ انحسار الخيرية تنشأ الشرور، من هنا يقولون بأن الشرور إنها حدود عدمية، لذلك هذا الجهل الذي خُلق من البحر الأجاج إنما هو يمثل آثار تجليات العقل، يعني حين يتجلى العقل بأكمل مراتبه في العالم الذي يتجلى فيه العقل بأكمل مراتبه فلا وجود للجهل هناك، لذلك قال له أقبِل فلم يُقبِل لا وجود للجهل في العوالم العلوية، قال له أدبر فأدبر لأن العقل المتجلي في العوالم السفلية يتناسب بحسب هذه العوالم، حينما نملكُ مقداراً من العقل، حينما يتجلى فينا من العقل بنسبة خمسين بالمئة بقيت هناك مساحة بنسبة خمسين بالمئة، بسبب انحسار العقل عن هذه المساحة ستظهرُ آثار الجهل، الجهل الذي هو في مقابل العقل، أنا قلت قبل قليل لستُ بصدد شرح الحديث، هذا الحديث يحتاج إلى كلامٍ طويل في شرحه، وأنا هنا لم أورد الحديث لأجل شرحه، ربما أشرحه في وقتٍ آخر، لكنني أوردت الحديث لأن لهذا الحديث ارتباط بموضوع الحلم، وارتباط بالفقرة التي أن بصدد بيان معانيها – **وَمُنْتَهَى الحلم** – أكتفي بهذه العجالة من بيانات معاني هذه الفقرات من الحديث الشريف واستمرُ في قراءة الحديث.

ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظُلمانياً أو ظَلمانياً فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبِل فلم يُقبِل – فلا وجود للجهل في العوالم العلوية – **فقال له: أستكبرت فلعنه** – وهذه ليست قصةً تأريخية، هذه ليست قصةً تأريخية وإنما القضيةُ تتحدث عن رموزٍ في أصل التجليات في العوالم الأولى – **فقال له: أستكبرت فلعنه** – الاستكبار المراد منه هنا الاستكبار هو الاستمناع في العوالم الطبيعية، يبقى مُقيداً مشدوداً في العوالم الطبيعية – **أستكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسةً وسبعين جنداً** – وهي مجالي من مجالي العقل – **خمسةً وسبعين جنداً فلمَّا رأى الجهلُ ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا ربي هذا خلقٌ مثلي خلقتهُ وكرمتهُ وقويتهُ وأنا ضده ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثلما أعطيتهُ، فقال: نعم فأن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي** – والرحمة هنا الحديث عن الفيض المنبسط – **قال: قد رضيتُ فأعطاه خمسةً وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند** – هذه المقدمة، لأن هذه المقدمة تحتاجُ إلى شرحٍ وشرحتُ بعضها، ولا أريد أن أطيل الوقوف عندها، فما هي جنود العقل؟ – **فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند الخيرُ وهو وزيرُ العقل** – الخير هو القاعدة والأساس – **الخيرُ وهو وزيرُ العقل وجعل ضده الشر وهو وزيرُ الجهل** – طبعاً الخير هنا إذا أردنا أن نقف عنده المراد من الخير هنا هو الحلم وإن كان سيأتي في ذكرِ جنود العقل أن هناك الحلم الذي هو مضادٌ للسَفَه ولكن هذه رتبةٌ من رتب الحلم، أما الخير هنا هو الحلم،

مادةُ العقل، مادة العقل هي الحلم – **الخيرُ وهو وزيرُ العقل وجعل ضده الشر وهو وزيرُ الجهل والإيمانُ وضده الكفر، والتصديقُ وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدلُ وضده الجور، والرضاءُ وضده السخط، والشكرُ وضده الكفران، والطمعُ وضده اليأس، والتوكلُ وضده الحرص، والرأفةُ وضدها القسوة، والرحمةُ وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهمُ وضده الحُمقُ أو الحمَق، والعفةُ وضدها التهتك، والزهدُ وضده الرغبة، والرفقُ وضده الخرق، والرهبةُ وضدها الجرأة** – الجرأة على المعصية هنا المقصود منها، الرهبةُ، الرهبةُ من الله – **والرهبةُ وضدها الجرأة، والتواضعُ وضده الكِبر، والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضده السَفَه** – وقبل قليل قلتُ بأن الحلم هو التؤدة والاتزان ولذلك جاء الحديث عن هذه المراتب هنا – **والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضده السفه، والصمتُ** – أيضاً هو من الحلم كما قلتُ قبل قليل – **والصمتُ وضده الهذر، والاستسلامُ وضده الاستكبار** – الاستسلامُ لحكمة الله للحكمة – **وضده الاستكبار، والتسليمُ وضده الشك، والصبرُ وضده الجزع، والصفحُ وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتذكرُ وضده السهو، والحفظُ وضده النسيان، والتعطفُ وضده القطيعة، والقنوعُ وضده الحرص، والموأساة وضده المنع، والمودةُ وضدها العداوة، والوفاءُ وضده الغدر، والطاعةُ وضدها المعصية، والخضوعُ وضده التطاول، والسلامةُ وضدها البلاء، والحبُ وضده البغض، والصدقُ وضده الكذب، والحقُ وضده الباطل، والأمانةُ وضدها الخيانة، والإخلاصُ وضده الشَوب وهو خلاف الإخلاص، والشهامةُ وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفةُ وضدها الإنكار، والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدها المُمَاكرة، والكتمانُ وضده الإفشاء، والصلاة وضدها الإضاعة** – يعني الاهتمام بالصلاة – **والصومُ وضده الإفطار، والجهادُ وضده النكول** – النكول هو الفرار والتكاسل والعجز – **والحجُ وضده نبذ الميثاق، وصونُ الحديث وضده النميمة، وبر الوالدين وضده العقوق، والحقيقةُ وضدها الرياء، والمعروفُ وضده المنكر، والسترُ وضده التبرج، والتقيةُ وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية** – وهذا السترُ وضده التبرج هذا له معانٍ يناسب منها ما يناسب الرجال ويناسب منها ما يناسب النساء، وهكذا كل إنسانٍ من الرجال أو من النساء أيضاً بحسب رتبته.

فالتبرجُ والسترُ يختلفُ باختلاف مراتب الناس – **والسترُ وضده التبرج، والتقيةُ وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية** – الحمية يعني العصبية – **والتهيئة وضدها البغي، والنظافةُ وضدها القذر، والحياءُ وضدها الجلع** – وفي نسخٍ أخرى – **الخلع، والقصدُ وضده العدوان، والراحةُ وضدها التعب، والسهولةُ وضدها الصعوبة، والبركةُ وضدها المحق، والعافيةُ وضدها البلاء، والقوامُ وضده المكاثرة،**

والحكمةُ وضدها الهواء – يعني الهوى – **والوقارُ وضده الخفة، والسعادةُ وضدها الشقاوة، والتوبةُ وضدها الإصرار، والاستغفارُ وضده الاغترار، والمحافظةُ وضدها التهاون، والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاطُ وضده الكسل، والفرحُ وضده الحزن، والألفةُ وضدها الفرقة، والسخاءُ وضده البخل** – هذه جنود العقلِ وجنود الجهل.

وحديثنا هنا عن منتهى الحلم، وهذه من معاني انتهاء الحلم انتهاء العقل، لأن هذه الأوصاف من أين تجلت؟ تجلت من العقل الذي كان عند العرش، وهذا هو منتهى الحلم في مرتبةٍ من المراتب، وإلا نقطة انتهاء الحلم إنما هو في الحقيقة المُحَمَّدية، ثم تستمر الرواية فماذا تقول؟

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍ أو وصي نبي أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان – هذه الخصال لا تجتمع كلها إلا في نبيٍ أو وصي نبي، مر علينا من جملة هذه الخصال مثلاً، مر علينا – **والتذكرُ وضده السهو** – يعني أن الأنبياء أن الأوصياء منزهون عن السهو – **والحفظُ وضده النسيان** – أي أن الأنبياء أن الأئمة منزهون عن النسيان وعن كل هذه المعاني التي مرت – **فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍ أو وصي نبي أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان** – وهذا الوصف مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان لا ينطبق على كل من يدعي الإيمان، هذا الوصف ينطبق على سلمان الفارسي وأمثاله – **وأما سائر ذلك من موالينا** – سائر ذلك من موالينا ماذا يقصد الإمام؟ لأن الأنبياء أيضاً من مواليهم، ولأن أوصياء الأنبياء من مواليهم، ولأن المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان أيضاً من مواليهم – **فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍ أو وصي نبي أو مؤمنٍ قد أمتحن الله قلبهُ للإيمان وأما سائرُ ذلك من موالينا** – يعني المجموعات السابقة هي من جملة مواليهم، الباقي من مواليهم – **وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود** – مواليهم من الأنبياء ومن الأوصياء ومن المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان تجتمع فيهم هذه الخصال الخمسة والسبعون ولكن كلٌ بحسبهِ – **وأما سائر ذلك من موالينا** – البقية من الموالين البقية من الشيعة من غير الأصناف التي ذُكرت – **فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل** – إذا كان يسعى في طريق الكمال، يستكمل يعني هو يطلب الكمال، يستفعل – **حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء وإنما يُدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده وبمجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته** – الرواية جميلة جداً، الرواية هنا تتحدث عن جنود العقل وعن جنود الجهل وهي تخبرنا بأن الأنبياء وبأن أوصياء الأنبياء وبأن الذين أمتحن الله قلوبهم من المؤمنين أولئك تكون فيهم هذه الأوصاف، تكون فيهم أوصاف

العقل، ويكونون بعيدين عن أوصاف الجهل، أما سائر أشياعهم من أمثالنا فكل واحدٍ منا يملك شيئاً لكن عليه أن يستكمل، فهل نستكمل أو لا نستكمل ذلك أمرٌ يعود إلى واقع الحياة، هذه الصفات، هذه الأوصاف هي مظاهر وظهورات لذلك العقل المتجلي في عالم العرش، وذلك العقل يعني منتهى هذه الصفات أين؟ تنتهي عند ذلك العقل المتجلي عند عالم العرش، وذلك العقل المتجلي في عالم العرش أين منتهاه؟ منتهى ذلك العقل عند الحقيقة الأولى، عند الحقيقة المُحَمَّدية، إذا كانت هذه الأوصاف هي في أوصاف أشياعهم، إذاً كيف نتصور أوصافهم؟ لذلك نحن نخاطبهم في الزيارات، وبالذات في الزيارة الجامعة الكبيرة نحن نخاطبهم: **مَوالِيَّ لا أُحْصى ثَنائَكُمْ وَلا اَبْلُغُ مِنَ المدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** – هذه العبارات هي عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة التي بين أيدينا – **مَوالِيَّ لا أُحْصى ثَنائَكُمْ** – ثنائكم خارجٌ عن حد الإحصاء – **وَلا اَبْلُغُ مِنَ المدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** – هذه الرواية العظيمة التي قرأتها على مسامعكم، حديث جنود العقل وجنود الجهل، هذه الأوصاف العظيمة التي لو تصورنا مخلوقاً يتصف بهذه الأوصاف بهذه الكمالات يعني جميع جنود العقل موجودة عندهُ وهو بعيدٌ عن جميع جنود الجهل، ما هي صفته هذه؟ هل نستطيع أن نتصورهُ؟ قطعاً لا نستطيع أن نتصورهُ، لأن هذا يقتضي أن نتقمص شخصيتهُ، هل نستطيع أن نتقمص شخصية بهذه الأوصاف! هذه أوصاف أولياء أهل البيت فما بالنا بأوصاف أهل البيت، لذلك نحن لا نستطيع أن نصفهم، القضية أكبر وأعظم وأعمق، منتهى الحلم قضية أعمق وأعظم من كل ما قلتهُ ومن كل ما سأقوله، هذه مظاهر العقل، مظاهر الحلم، جنود العقل في أوليائهم من الأنبياء من أوصياء الأنبياء، نحن لا نستطيع أن نتصورها لأننا لا نعيشها ولا نملكها فكيف نتمكن أن نتصورها، الإنسان إذا لم يكن مالكاً ومحيطاً وعارفاً بمعنىً من المعاني كيف يمكن أن يتصورهُ، تصور هذه المعاني يحتاج إلى آليات إلى مقدمات، هذه الآليات وهذه المقدمات نحن لا نملكها، نحن فقط نرددها بلقلقةٍ لسانية، فأنى لنا أن نتصور هذه الأوصاف التي هي في أولياءهم، فكيف هم! هذا الحديث هنا عن خمسةٍ وسبعين من صفاتٍ إيجابية جنود العقل في أوليائهم، وعن خمسة وسبعين من صفاتٍ سلبية تنزه قلوب أوليائهم عنها، حينما أقول أوليائهم يعني الأنبياء وأوصياء الأنبياء والذين امتحنت قلوبهم وهؤلاء قلةٌ قليلة، هذا الكلام لا يقال لي ولأمثالي ولكل من يدّعي بأنه من شيعة أهل البيت، فإذا كنا عاجزين عن تصور هذه المعاني في أوليائهم فأنى لنا أن نتصوره هذه المعاني في أتم صورها في ذواتهم القدسية.

عندنا رواية أيضاً في الكافي الشريف تقول هذه الرواية، الحديث **عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، يقول: ما قَسَمَ الله للعبادِ شيئاً أفضل من العقل** – وهل هناك أفضلُ من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد؟!! هم حقيقة العقل والعقل في عالم العرش من تجلياتهم، كما أن القرآن هو صورةٌ لهم، أليس القرآن هو العقل الكتبي،

العقل المكتوب الكامل في العالم الأرضي، عالم العقل المكتوب هو القرآن، أليس هو الصامت وهم الناطق؟ هم العقل الناطق كما أن القرآن صورة كتبية لعالم العقل الأعلى، عالم العقل الأعلى هذا المخلوق العقلي في عالم العرش هو صورةٌ لتلكم الحقيقة المُحَمَّدية تَنَزُّل – **ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضلُ من سهر الجاهل** – من سهر الجاهل في العبادة يعني – **وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل** – أيضاً من شخوص الجاهل في العبادة، كشخوصهِ إلى الحج مثلاً، كشخوصهِ إلى الزيارة مثلاً – **فنوم العاقل أفضلُ من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل** – من سفرهِ وسعيه – **ولا بَعَثَ الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل** – العقل الذي مرَّ علينا ذكر جنودهِ – **حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أُمَّتهِ وما يُضمر النبي في نفسه** – يعني الحالة النفسية للنبي، الحالة المعنوية – **وما يُضمر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين** — المجتهدين يعني الذين يواصلون العبادة، أفضلُ من عبادة العابدين في غاية ما يتعبدون به، المجتهد الذي يبذل أقصى ما يمكن في العبادة – **وما يُضمر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين وما أدى العبدُ فرائض الله حتى عَقَلَ عنه** – يعني حتى عرف الله بعقلهِ – **ولا بلغ جميعُ العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل** – إذا كان هذا العاقل عقلهُ أعلى رتبةً من عقولهم – **والعقلاء هم أولوا الألباب الذين قال تعالى:** ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ – والأحاديث متعاضدة لذلك نبينا وأئمتنا ماذا يقولون؟ إمامنا الصادق ماذا يقول؟ **ما كَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط** – فإن العباد لا يحتملون ذلك – **وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نُكَلِّمَ الناس على قدر عقولهم** – الأنبياء مرَّ علينا قبل قليل بأن عقولهم بهذا النحو المتكامل، والنبي هنا حينما يقول إنّا معاشر الأنبياء يتحدث في الأفق النبوي لأنبياء الأرض، لأنبياء هذا العالم الذين هم أشياعه، إنّا معاشر الأنبياء، لا يتحدث بمستوى العقل المُحَمَّدي يتحدث بمستوى العقل النبوي في أفق الأنبياء – **إنا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نُكَلم الناس على قدر عقولهم** – فالذين يملكون عقولاً بهذه الأوصاف التي أشار إليها حديث العقل وجنودهِ والجهل وجنوده هؤلاء هم الذين يأتي الحديث عنهم هنا بأنهم يكلمون الناس على قدر عقولهم وإلا فالعقل المُحَمَّدي له أفق آخر، ليس الكلام هنا للحديث عن أفق العقل المُحَمَّدي، الروايات والأحاديث كثيرة عن أهل بيت العصمة في هذا المضمون.

رواية هنا أذكرها لها علقة بالذي نحن فيه، رواية عن إمامنا الباقر عليه السلام أيضاً في الكافي الشريف في الجزء الأول في كتاب العقل والجهل، **إمامنا الباقر يقول: إذا قام قائمنا وضع الله يدهُ على رؤوس العبادة**

فجمع بها عقولهم وكَمُلت به أحلامهم – كَمُلت به يعني كَمُلت بظهور الإمام كَمُلت بالإمام تُجمع به العقول وتكمل به الأحلام لأي شيءٍ؟ لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه يأتي لإكمال هذا العالم، يأتي لبعث العقل الذي أرادهُ الله سبحانه وتعالى أن يكون خليفةً على هذه الأرض، ولا يستطيع أحد ما لم يكن يملك القدرة العقلية المُطلقة حتى يستطيع أن يبعث العقول، حتى يستطيع أن يُكَمِّل العقول والأحلام، الرواية هنا لها علقة بالذي في أيدينا من جهةٍ من الجهات، الروايات في هذا المضمون كثيرة جداً.

هناك رواية يرويها شيخنا ابن شعبة الحراني رحمة الله عليه في كتابهِ تحف العقول عن آل الرسول، رواية منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول في جملة خبرٍ طويل ومسائل كثيرة سألهُ عنها راهبٌ يُعرف بشمعون بن لاوي بن يهوذا من حواريي عيسى – يعني أن نَسَبَهُ ينتهي إلى حواريي عيسى – من حواريي عيسى عليه السلام فأجابهُ عن جميع ما سأل عنه على كثرتهِ فآمن به وصدقه، وكتبنا منه موضع الحاجة إليه ومنهُ – من هذا الحديث – قال: – هذا الرجل شمعون بن لاوي يسأل النبي الأعظم – **أخبرني عن العقل وما هو؟ وكيف هو وما يتشعب منه وما لا يتشعب وصف لي طوائفهُ كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن العقل عقال من الجهل والنفس مثل أخبث الدواب** – العقال يعني الرباط الذي يربط به الشيء – **إن العقل عقال من الجهل والنفس مثل أخبث الدواب فإن لم تُعقل** – لم تُربط – **حارت تاهت، فالعقل عقالٌ من الجهل وإن الله خلق العقل فقال له: أقبِل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك بك أبدأ وبك أعيد** – ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة وإيابُ الخلق إليكم وهو الفاتِحُ وهو الخاتم – **بك أبدأ وبك أعيد لك الثواب وعليك العقاب فتشعب من العقل الحلم** – وقبل قليل قلت أن المراد من الخير في حديث جنود العقل والجهل هو الحلم، هذه الرواية وتلكم الرواية جعلت مادة العقل الحلم، الحلم هنا وعُبِّر عنه في رواية الكافي بالخير، والخير والحلم في هاتين الروايتين بمعنىً واحد – **فتشعب من العقل الحلم ومن الحلم العلم ومن العلم الرُشد ومن الرُشد العفاف ومن العِفاف الصيانة** – تُقرأ العَفاف والعِفاف – **ومن الرُشد العفاف ومن العِفاف الصيانة ومن الصيانة الحياء ومن الحياء الرزانة ومن الرزانة المداومة على الخير ومن المداومة على الخير كراهية الشر ومن كراهية الشر طاعة الناصح فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ولكل واحدٍ من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع** – يعني هناك مئة نوع من أنواع التجليات، هناك مئة مظهر من مظاهر العقل، وهذه المظاهر تظهر في كل عالم بحسبهِ، في كل طبقةٍ من طبقات الوجود بحسبهِ، ابتداءاً من عالم العرش وانتهاءاً بالعالم الأرضي فتظهر فينا وتظهر في غيرنا، فهذه عشرة أصناف هي الأصول ولكل أصلٍ فروع – **فأما الحلم فمنه ركوب الجميل وصُحبة الأبرار ورفعٌ من الضَعة ورفعٌ من**

الخساسة وتشهي الخير ويُقرِّب صاحبهُ من معالي الدرجات والعفو والمَهل والمعروف والصمت فهذا ما يتشعبُ للعاقل بحلمه – هذه عشرة أبواب وللبقية لكل أصلٍ عشرة أبواب.

وأما العلم فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيراً والجود وإن كان بخيلاً والمهابة وإن كان هيناً والسلامة وإن كان سقيماً والقربُ وإن كان قصياً والحياء وإن كان صَلِفاً والرفعة وإن كان وضيعاً والشرف وإن كان رَذِلاً والحكمة والحظوة فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه فطوبى لمن عَقَل وعَلم، وأما الرشد فيتشعب منه السداد والهدى والبر والتقوى والمنالة والقصد والاقتصاد والثواب والكرم والمعرفة بدين الله فهذا ما أصاب العاقل بالرشد فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق، وأما العفاف فيتشعب منه الرضا والاستكانة والحظ والراحة والتفقد والخشوع والتذكر والتفكر والجودُ والسخاء فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضاً بالله وبقِسَمه، وأما الصيانة فيتشعب منها الصلاح والتواضع والورع والإنابة والفهم والأدب والإحسان والتحبب والخير واجتناء البِشر فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة، وأما الحياءُ فيتشعب منه اللينُ والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظَفَر وحسن الثناء على المرء في الناس فهذا ما أصاب العاقل بالحياء فطوبى لمن قَبِل نصيحة الله وخاف فضيحته، وأما الرزانة فيتشعب منها اللطف والحزم وأداء الأمانة وترك الخيانة وصدق اللسان وتحصين الفرج واستصلاح المال والاستعداد للعدو والنهيُ عن المنكر وتركُ السَفَه فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة فطوبى لمن توقر ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية وعفا وصفح، وأما المداومة على الخير فيتشعب منها ترك الفواحش والبُعد من الطيش والتحرُّج واليقينُ وحب النجاة وطاعة الرحمن وتعظيم البرهان واجتناب الشيطان والإجابة للعدل وقول الحق فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير فطوبى لمن ذكر أمامه – وفي نسخةٍ – **إمامهُ وذكر قيامه واعتبر بالفناء.**

وأما كراهية الشر فيتشعب منه الوقار والصبر والنصر والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرشاد والإيمان بالله والتوفر والإخلاص وترك ما لا يعنيه والمُحافظة على ما ينفعه فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر فطوبى لمن أقام بحق الله وتمسك بعرى سبيل الله، وأما طاعة الناصح فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب ومَحمَدة العواقب والنجاة من اللوئم والقبول والمودّةُ والانشراحُ والإنصاف والتقدم في الأمور والقوة على طاعة الله فطوبى لمن سَلم من مصارع الهوى فهذه الخصال كلها تتشعب من العقل – والحديث طويل أكتفي بهذا المقدار الذي ذكر فيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جانباً من مظاهر العقل، جانباً من كمالات العقل، هذه مئة باب عشرة أصول لكل

أصلٍ من هذه الأصول عشرة أبواب فهذه مئة بابٍ من أبواب العقل، مرَّ علينا قبل قليل في حديث الكافي الشريف في جنود العقل وجنود الجهل هناك خمسة وسبعون نوع من أنواع جنود العقل بالنحو الإيجابي، وهناك خمسة وسبعون أيضاً من النحو السلبي، الأنبياء منزهون عن الجانب السلبي وجامعون لأي شيءٍ؟ للجانب الإيجابي، وهذه الرواية وهذا الكلام الذي جاء مروياً في تحف العقول عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إنما هو حديثٌ يعضد الحديث الذي ذكرتهُ قبل قليل من كتاب الكافي الشريف، وهناك روايات أخرى كثيرة في هذا المضمون نحن هنا لسنا في مقام الاستقصاء وإنما أوردت هذه النصوص نماذج وأمثلة لتقريب الصورة ولتقريب المعنى، هذه مجالي العقل وللعقل مجالي تبدأ من منتهى الحلم وتنتهي في هذه العوالم الأرضية، هذه الأوصاف التي جاءت في حديثِ جنود العقل والجهل وجاءت في حديث رسول الله مع شمعون هذا الذي هو من ذراري الحواريين، مع شمعون بن لاوي كل هذه وغير ذلك من النصوص إنما تتحدث عن مظاهر وعن مراتب العقل في العالم الأرضي وفي المخلوق البشري.

بعض من هذه النصوص تتحدث عن المراتب الكاملة في الأنبياء في أوصياء الأنبياء في الذين امتحنت قلوبهم للإيمان من المؤمنين، في عامة الناس من أمثالنا تتجلى بعض هذه المعاني، إذا كانت هذه المعاني نحن لا نستطيع الإحاطة بها، الآن أي حديث من هذه الأحاديث إذا أردنا أن نشرحهُ فقط، فقط في الجانب اللغوي معاني الكلمات كل حديث يحتاج إلى وقت طويل، فقط الشرح اللغوي لهذه الأوصاف ولهذه الصفات، فقط شرح لغوي نحتاج إلى وقت طويل فما بالك بالمعاني الحقيقية والتي نحن لا نملكها ولا نملك الإحاطة بها، هذا كله من مجالي العقل في العالم الأرضي، أما عقل مُحَمَّدٍ حتى في العالم الأرضي، عقل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فذلك شيءٌ لم تأتي الإشارة إليه في هذه الروايات، هذه الروايات تتحدث عن عقول الأنبياء من سائر الأنبياء، وليس في هذه الأحاديث شيءٌ للحديث عن عقل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فأنى لنا أن نتصور هذا المعنى، وكل ذلك يعود في منتهاه إلى أين؟

إلى عالم العقل في عالم العرش، وعالم العقل في عالم العرش يعود في منتهاه إلى الحقيقة المُحَمَّدية، ومُحَمَّدٌ هنا في عالم الأرض هو الحقيقة المُحَمَّدية كما أن الحقيقة المُحَمَّدية هي مُحَمَّدٌ إلا أن مُحَمَّداً هو مُحَمَّد وأن الحقيقة المُحَمَّدية هي الحقيقة المُحَمَّدية، مُحَمَّدٌ في الأرضِ هو الحقيقة المُحَمَّدية بوجهٍ من الوجوه مع هذا العالم الأرضي، وإلا كيف نفهم هذه الروايات الكثيرة جداً المنقولة عن النبي الأعظم وعن الأئمة في أنهم وجدوا قبل الخلق، وفي أن كل الخلق إنما أشتق من أنوارهم، كيف تُفهم هذه النصوص الكثيرة والتي تحدثت بلسان الرمز بلسان الإشارة لأننا أصلاً لا نملك التصور الكامل عن تلكم الحقائق، وإنما نتلمس المعاني هنا وهناك في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فها نحن نقرأ زيارتنا الجامعة الكبيرة ونسلم عليهم صلوات الله وسلامه عليهم – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ**

الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحلم – يمكن من خلال هذه الجولة السريعة في هذه النصوص في هذه الروايات يتجلى لنا بعضُ شيءٍ من معنى قولنا منتهى الحلم، الحقيقة أنني وأمثالي لا ندرك حقائق المعاني في هذه الزيارة الجامعة الكبيرة، لأن هذه الزيارة كما جاء في وصفها هي قولٌ بليغٌ كامل فأنى لي أن أحيط بحقائق معاني هذا القول البليغ الكامل، هذه الزيارة هكذا وصفت بأنها قولٌ بليغٌ كامل، السائل سأل هذا السؤال فجاء الجواب من إمامنا الهادي على قدر هذا السؤال، فهذا قولٌ بليغٌ كامل، فأنى لي أن أحيط بمضامينه وبفحواه وبدلالتهِ، وإنما كما قال سيد الأوصياء مخاطباً كميل: **يا كميل إن القلوب أوعية وخيرها أوعاها.** إنما أغترف بوعائي وكلما كبر الوعاء كلما كان الاغتراف أكثر، إنما أغترف بوعائي فما اغترفه بقدر وعائي وما يغترفهُ الآخرون بقدر أوعيتهم، فهل يمكن أن نجعل البحر بكله في قدحٍ واحدٍ في وعاءٍ واحدٍ، إنما نحن نغترفُ شيئاً من هذا البحر، إنما نحن نغترف شيئاً من هذا الشلال المنهمر من هذا الماء العذب الصافي الزلال، هذه اغترافةٌ بوعاءٍ صغير، يا كميل إن القلوب أوعية وخيرها أوعاها، خير القلوب أوعاها يعني أكبرها، الذي يسع أكبر قدرٍ من المعنى يسع أكبر قدرٍ من المعرفة – **وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحلم** – ثم تقول الزيارة الشريفة:

وَأُصُولَ الْكَرَمِ، أصول جمعٌ لأصل والأصل معناه واضح لا يحتاج إلى شرحٍ وإلى توضيح، أصول جمع لأصل والأصل هو الجذر، يقال أصل الشجرة هو جذرها الذي تنبت منه، وأصل الشجرة وأصل النبتة البذرة التي جاءت منها تلكم النبتة أو تلكم الشجرة، وهكذا أصل كل شيءٍ الجهة التي جاء منها ذلك الشيء، كل جهةٍ تكون هي البداية لأي شيءٍ فتلك الجهة هي الأصل – **وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – يعني أن الكرم يأتي وينبع من تلكم الجهات، الخطاب هنا مع تلكم الجهات هم صلوات الله وسلامه عليه أجمعين – **وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – الكرم، ما المراد من معنى الكرم؟ قد يأتي الكرم بمعنى الجود بمعنى السخاء وهذا المعنى واضح لديكم، وقد يأتي الكرم بمعنى الشرف حين يقال فلان كريم النسب يعني شريف النسب، والجود إنما هو مظهرٌ من مظاهر الشرف، الكرم بمعنى الجود بمعنى السخاء هو مظهر من مظاهر الشرف، الشرف والجود متلازمان إن لم يكن الجود هو الشرف والشرف هو الجود – **وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – يعني أصول الشرف، وحينما يقال شيءٌ كريم شيءٌ شريف، الشيء الشريف، الكائن الشريف، الموجود الشريف هو الموجود الذي لا يلحق به عيب، لا يلحق به نقص، فهم خُزان العلم وهم منتهى الحلم وهم أصول الكرم، إليهم كل مكرمةٌ تؤوب، إليهم كل مكرمة تعود، هم أصل الكرم لأن الكرم الإلهي تجلى فيهم، نحن حين نقرأ في الكتاب الكريم مثلاً في سورة العلق، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الأكرم هنا صيغة أفعل التفضيل ومعرفة بالألف واللام ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي لا كريم فوقه، الأكرم هو الذي صدر منه حقيقة الكرم، حقيقة الكرم أين

تجلت هذه؟ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ربك هو الأكرم ومنه صدر الكرم فأين تجلت حقيقة الكرم؟ نحن حين نذهب مثلاً إلى سورة الرحمن على سبيل المثال، في الآية السادسة والعشرين وفي الآية السابعة والعشرين ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو الجلال والإكرام هنا وصفٌ للوجه، ويبقى وجه، وجهُ فاعل وهو مضاف، ربك مضاف إليه، ذو الجلال صفة لوجه، الوجه هنا وصفتهُ الآية بالإجلال وبالإكرام، هذا في الآية السابعة والعشرين من سورة الرحمن، في نفس السورة في سورة الرحمن في آخر آية من آيات سورة الرحمن ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ اسْمُ هنا فاعل وهو مضاف، ربك مضاف إليه، ذي الجلال صفة لربك، يعني هناك في سورة الرحمن جاء وصف الوجه بالجلال والإكرام وجاء وصف الرب بالجلال والإكرام، ماذا تريد أن تقول السورة؟

تريد أن تقول بأن الوجه هو الرب، وبأن الرب هو الوجه، لكن يبقى الوجهُ وجهاً ويبقى الرب رباً، في الآية السابعة والعشرون ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو الجلال صفة لوجه، الآية الأخيرة وهي الثامنة والسبعون ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فالرب جاء موصوفاً بالجلال والإكرام، والوجه جاء موصوفاً بالجلال والإكرام ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ كما مرَّ علينا قبل قليل في سورة العلق المباركة، هذا المعنى نفسه أين يتجلى؟ يتجلى في سورة الواقعة، يتجلى في الوجه الكتبي، في العقل الكتبي، في الآية السابعة والسبعين وما بعدها ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ القرآن هنا كما قلت قبل قليل هو الوجود الكتبي للعالم العقلي، والعالم العقلي إنما هو مظهرٌ لمن؟ للوجه الأكرم، لوجه ربك ذي الجلال والإكرام، ربك ذو الجلال والإكرام ووجه ربك أيضاً هو ذو الجلال والإكرام، والحقيقة المُحَمَّدية هي وجه الله الظاهر في كل هذا الوجود. ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهذا تجلٍ من التجليات وهذا ينعكس أيضاً علينا، كما قلت بأن الحلم له مظاهر، الكرم له مظاهر، إلى أن يأتي الكلام في سورة الحجرات الآية الثالثة بعد العاشرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ خطاب للعالم الأرضي ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ التقوى ولاية عليٍّ، أتقاكم هو أكثركم ولايةً لعليٍّ، فولاية عليٍّ هي الكرامة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ هم أصول الكرم وهذا الكرم يتجلى في كل مرتبةٍ من مراتب هذا العالم، في كل مرتبةٍ من مراتب هذا الوجود ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ثم وصلنا إلى سورة الرحمن

﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وفي الآية الأخيرة ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ فربك ذو الجلال والإكرام ووجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ والقرآن حقيقة الولاية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الأتقى الأكثر ولايةً هو هذا الأكرم – **وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – القرآن يشد بعضهُ بعضاً والحديث يشد بعضه بعضاً والقرآن والحديث يشد بعضهُ بعضاً.

وهذه حقائق واضحة لمن تدبر أو تفكر في كلام القرآن وفي كلام المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن هنا كانت الوصية النبوية الخالدة بالكتاب والعترة، ومن أراد أن يقترب من فناء منتهى الحلم ومن فناء أصول الكرم عليه أن يتفيأ أفياء الكتاب والعترة، عليه أن يتمسك بعروة الكتاب والعترة، في الجزء الخامس والعشرين من بحار الأنوار والحديثُ وإن مرَّ علينا لكنني أعيد بعضاً من عباراتهِ لعلاقتهِ بهذا الموضوع، الحديث هنا عن أصول الكرم، والكرم هو الشرف، الحديثُ عن شرفهم وعن أنهم أصول الشرف، في حديث الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه في وصف الإمام المعصوم ماذا يقول؟

والإمام عالمٌ لا يجهل، داعي لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك الزهادة والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرسول وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب – وهذا هو أصل الكرم المتجلي في العالم الأرضي – **وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من آل الرسول والرضا من الله شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مُطلع بالإمامة، عالم بالسياسة ،مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصحٍ لعباد الله، حافظٌ لدين الله** – كل هذه الأوصاف كل هذه الصفات تتحدث عن كرم الأصل وعن أصل الكرم، وكرم الأصل في أهل البيت، وأصل الكرم هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى نفس هذا النَغَم، على نفس هذا النسق، على نفس هذا اللحن في حديث أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في وصف الإمام المعصوم:

والإمام يجبُ أن يكون عالِماً لا يجهل وشجاعاً لا ينكل لا يعلو عليه حَسب ولا يُدانيه نسب فهو في الذورة من قريش والشرف من هاشم والبقية من إبراهيم والنهج من النبع الكريم – فهو كريم الأصل وهو أصل الكرم – **والنفس من الرسول، والرضا من الله، والقول عن الله، فهو شرف الأشراف، والفرعُ من عبد مناف، عالم بالسياسة، قائمٌ بالرئاسة، مفترض الطاعة إلى يوم الساعة، أودع الله قلبهُ سره وأطلق به لسانه، فهو معصوم موفق ليس بجبانٍ ولا جاهل، فتركوه يا طارق** – طارق هو طارق بن شهاب الذي يحدِّثهُ أمير المؤمنين – **فتركوه يا طارق واتبعوا أهوائهم ومن أضلُ ممن أتبع هواه بغير هدىً**

من الله، والإمام يا طارق بشرٌ ملكي وجسد سماوي – وهذه هي معاني أصول الكرم – **والإمام يا طارق بشرٌ ملكي وجسد سماوي وأمرٌ إلهي وروحٌ قدسي ومقامٌ عَليّ ونورٌ جلي وسرٌ خفي فهو ملكي الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عالم بالمُغيَّبات خصاً من رب العالمين ونصاً من الصادق الأمين وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مُشارك** – لماذا؟

لأنهم هم الأصل، هم أصول الكرم – **وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مُشارك** – فالفروع لا يمكن أن تشارك الأصول – **وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مُشارك لأنهم معدن التنزيل ومعنى التأويل وخاصة الرب الجليل ومهبط الأمين جبرئيل، صفوة الله وسره وكلمته، شجرة النبوة** – هم الأصل، هم الشجرة والشجرة الأصل – **شجرة النبوة ومعدن الصفوة عين المقالة ومنتهى الدلالة ومُحكم الرسالة ونور الجلالة جنب الله ووديعته وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته، السبيل إلى الله والسلسبيل والقسطاس المستقيم والمنهاج القويم والذكر الحكيم والوجه الكريم ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ والوجه الكريم والنور القديم أهل التشريف والتقويم والتقديم والتعظيم والتفضيل خلفاء النبي الكريم وأبناء الرؤوف الرحيم** – أبناء الرؤوف الرحيم هي أوصاف النبي – **وأُمناء العليِّ العظيم ذريةٌ بعضها من بعض والله سميعٌ عليم** – هذا غيضٌ من فيض، الأحاديث طويلة والكلمات كثيرة للحديث عن كرم الأصل وعن أصول الكرم، قد يتجلى بعض شيءٍ من معاني عبارات الزيارة الشريفة التي بين أيدينا من طوايا هذه الكلمات، نحن نبقى نعيش في أجواء الزيارة الجامعة الكبيرة وما أبينهُ من معانٍ ومن مضامين هذه إنما هي من شاطئ معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، وإلا فالقضية أعمق وأعمق وأعمق من كل هذه البيانات، الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى ستكون بعد يوم غد، في يوم غد برنامج قرآننا وبعد يوم غد نعود لنلتقي لنتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في أجواء زيارتهم الجامعة الكبيرة، أختم كلامي بما تقوله الزيارة الشريفة:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ.

والسلام عليكم يا أشياعهم ويا أحبائهم ويا أوليائهم ويا من تعلقت قلوبهم بهم ويا من تمسكت عقولهم وأبصارهم ومشاعرهم بعروتهم الوثقى، هنيئاً لكم أسألكم الدعاء أتمنى لكم صياماً مقبولاً ودعاءاً مستجاباً ولقاءنا سيتجدد إن شاء الله على المودة وفي ضِلال مودّة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ